المرحلة الرابعة

قصة بقلم ديزي الأمير

تكومت الثياب على الفراش وعادت هي الى الخزانة تفرغ بقية ما فيها وتضعه هنا وهناك وعلى كل ما تجده صالحا لذلك في الغرفة.

اليوم هو الموعد الاسبوعي لعملية جرد محتويات الخزانة وتنظيفها واعادة تنظيم حوائجها ورمي ما لم تعد به حاجة . ويتكوم الاشياء على الفراش والمناضد والكراسي انتهت المرحلة الاولى وبدأت مرحلةتنظيف الخزانة ومسحها من الغبار ووضع الاغطية المطرزة على رفوفها. وجاءت المرحلة الثالثة بعملية اعادة الثياب الى اماكنها . رفعت فستانا وعلقته .. وثانيا .. وامسكت بثالث ومن تحته برز كيس الصور .. اعتادت في كل اسبوع ان تمضي نصف الوقت في تنظيم الخزانة والنصفالثاني في تأمل الصور .

رفعت الكيس .. ثم ارجعته .. عليها ان تتخلص من اكوام الثياب اولا ثم تعود الى الصور تعطيها من الوقت كل الوقت .. وعلى الفراش انزلقت من الكيس صورة .. صورة ملونة التقطت لها في ذاك البلد البعيد الذي تحب .. اليد الثانية لا تزال بعد مشغولة بتعليق الفساتين.

كانت جالسة في قارب تجديف والهواء يلاعب شعرها الطويلوعلى شفتيها ضحكة غمرت وجهها بالسعادة . وعيناها نصف مغمضتين اتقاء وهج الشمس ... علقت اليد الفستان .. ما كان يقال لها حتى بدت عائمة بالسعادة هكذا ؟ لو تذكرت من كان معها في ذلك اليوم فربما اوصلها هذا الى تذكر نوعية الحديث الذي كانت تسمع . ولكن الصورة لها هي وحدها وليس معها احد . حدقت في الصورة .. هنا شيءغريب منها .. الى يسارها كف تمسك بسيكارة مشتعلة .. لم تستطع تمييز الكف. انها كف انسان اشاع السعادة عليها بحديثهاو بقربهمنها، فمن هو؟

واطالت النظر الى الكف لا يبدو منها ما يميزها عن بقية الايدي. والسيجارة ؟ انها متوهجة ودخانها يرتفع ويتطاير ويغطي قسما من شعرها . وعادت الى الكف . السيكارة اشتعلت ونفق دخانها آلان، فماذا جرى للاصابع التي تمسك بها . واصابع من هي؟

رمت الصورة على السرير وعلقت فستانا اخر . ما كانت ترتدي في الصورة ؟ انه فستان اخضر بلون الاشجار التي تغطي السطح الخلفي للصورة . تتذكر الفستان تماما . لقد اشترته حين رأته بالصدفة في واجهة احد المخازن ولبسته في مناسبات سارة كثيرة . فهو من الفساتين التي تجلب حسن الحظ . في كل مرة ارتدته صادفها حسن طالع حتى تفاءلت به وصارت تلبسه كلما رجت ان تلقى مصادفة حلوة . انه ليس بين فساتينها ولم تره منذ مدة ، أتراه بين الثياب الفائضة والقديمة التي تملأ بها عدة حقائب ؟ وهرعت الى الغرفة العليا تنبش محتويات حقائبها .. انه ليس هنا . وتذكرت .. لقد اعطته لابنة الجيران في السنة الماضية ولكنها لم تره عليها .. لعله لم يناسب جسمها او لعلها فرطت هي الاخر يبتعويذة الفستان الاخضر ..

اكوام الثياب تنتظرها في غرفتها .. اعادت قسما وفي استدارتها للامساك بقطعة اخرى تعلقها وقعت عينها على الصورة .. بجوارها حقيبة يد بنية وتذكرت كم كانت تحب تلك الحقيبة . وكم حملتها حوائج . وكم استوعبت . وتذكرت بالتفصيل يوم سفرها من ذاك البلد البعيد الذي تحب . حين اكتشفت ان حقيبة اليد تحتاج الى اصلاح قفلها . وكيف انها لم تستطع اصلاحه لضيق الوقت ثم .. حين امتلأت حقيبة الثياب الكبيرة لم يبق مكان للحقيبة الصغيرة فاضطرت الى تركها للخادمة التي تنظف الغرف .. ولا تزال تتذكر تماما منظر الحقيبة الصغيرة وحيدة فيالغرفة يوم سفرها . لقد احست انها خذلتها حين تركتها وحدها ولكنها غبطتها على البقاء هناك .. وها هي الحقيبة تنتصب امامها الان .

حملت الحقائب تضعها في مكانها على الرف.

ومن بين الثياب سحبت معطفا غامق اللون تتأمله . في الصورة كان معطف يرتمي بزهو على كتفيها .. معطف ذو لون نضر بياقة من الفرو .. اكتشفت بعد فترة قصيرة ان الفرو من نوع يتلف بسرعةفنزعته وبدا بعده لون المعطف كالحا فرأت ان تغير لونه وتتذكر يوم امسكتبه تتأمله حين جاء به عامل المصبغة .. لم تميز فيه ابدا المعطف القديم . وعادت تتأمله .. ليس فيه منمعالم القديم شيء .. انه جديد ممسوخ.. اعادته على السرير كيف تضيع الاشياء وتتغير دون ان نحس .. قذفت نفسها قرب المرآة .. دفعت الحوائج .. رمتها على الارض .. ووقفت تتأمل .. شعرها القصير المستقر الثابت بين جدران الغرفة الاربعة. لا دخان سيكارة يغازله ولا يطير قسم منه يعابث الهواء . ولا يرتاح قسم اخر بكبرياء على ياقة من الفرو.

واسرعت تعيد الثياب الباقية بعصبية وخوف ، وعلى قعر الخزانة رتبت الاحذية . حدود الصورة تنتهي عند كاحلها .. لم يبد الحذاء وحسنا فعل .

اغلقت الخزانة .. لقد زالتكوم الثياب والحوائج من على الفراش والمناضد وعادت الغرفة الى هدوئها وترتيبها .

استدارت متوجهة نحو الباب فطالعها وجهها ثانية في المرآة ، تبسمت فبدت ابتسامتها بلهاء غبية . ومسخت ضحكة فتعكرت المرآة .

وجذبت الصورة تحدق فيها وتحدق . تفتش عن شيء بعد موجود ... عن شيء لم يتغير ... عن شيء تستطيع الامساك به ... تريد الامساك باي شيء .. وفي الصورة كانت يدها تمسك بوردة حمراء . وردة حمراء كبيرة تستقر مطمئنة في كف يدها اليمنى .. لن تفتش عنها او تبحث .

ورمت الصورة وركضت من الغرفة . صفقت الباب عاليا وراءها وهي تنادي الخادمة « نظفي غرفتي ، اكنسيها ... اكنسي كل ماتجدين على الارض ... »

العينان .. عيناها نصف المغمضتين عادتا الى الغرفة تنظران في المرآة . وتغمض عينيها نصف اغماضة تريد ان تتقي وهج الشمس... رأت يدها تنحني على الارض .. تلتقط الصورة . تقلبها . كان تاريخ يوم التقاطها مكتوبا على ظهرها .. التاريخ يعود الى ثلاث سنوات عبرت .

وتطلعت في المرآة تفتش عن الماضي وهناك في المرآة رأت كفها الاخرى تتعاون مع الاولى على تمزيق الصورة قطعا صغيرة .. ثم اصغر .. فاصغر .. واصغر ... واصغر .. واصغر .

انتهت من المرحلة الرابعة والاخيرة لعملية الجرد الاسبوعي للخزانة .

ديزي الامير